كتاب الخلوة والتنقل في عبادة ودرجات العاملين

تأليف الامام العارف ابي عبد الله الحارث بن اسد المحاسبي (تابع)

رحمه الله

نشره لاول مرة عن نسخة يتيمة

الاب اغناطيوس عبده خليفة اليسوعي

باب معرفة الاصل الذي يتفرع منه جماع الخير

سال سايل عن باب معرفة الاصل الذي يتفرع منه جماع الخير قال اخبرني عن الاشيا التي يتفرع من معرفتها جماع الخير (٥٣) وتجري بها المنافع ويصلح بها الاعمال من بعد اليقين بالله تعالى فقال اعلم ان اصول الاشيا التي منها يتفرع جماع الخير وتجرى بها المنافع وتصح عليها الاعمال من بعد اليقين ، معرفة النعم والعمل باداء الشكر وان يصح عندك ان جماع الخير مواهب من الله تعالى وهو تاسيس العفو وهو من طريق الرضا وان جميع الشر من المعاصي عقوبة وهو من طريق الخذلان وهو علامة السخط ، فاذا عرفت ذلك كثرت حسناتك وقلت سياتك ان شاء الله لانك اذا عرفت ان الاحسان نعمة ومواهب منه بادرت في الشكر واستقللت اكثر شكرك عند اصغر نعمه عندك فجريت في ميدان الزياده من الخير وطمعت في العفو والرضا واذا عرفت ان الاساة منك خذلان منه اياك وانه من طريق السخط فرغت الى التضرع والاستكانة فبادرت بالتوبة واستحييت مما تعرف من كثير احسانه ان تتضرع له بقلبك استكانة مرادك الاحسان جبرًا ثم التمست بلطيف الشكر على انتقالك عن الإساة ثم الشكر على تحويلك الى الاحسان (٥٤) فاذا انت في جميع احوالك زايد شاكر لم تعجزك معرفة الاحسان من اين تشكرت ولا معرفة الاساة من اين فاستغفرت فهذا اصل يتفرع منه فنون الخير وتعلق به جماع ابواب الشر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم .

باب الاستدراج

وساله فقال متى يكون العبد كثير الاساة غير راجع عنها وهو لا يعلم .

قال اذا كان عميًا عن عيوب نفسه كان كما وصفت وهو لا يعلم قال ومتى يكون مصرًا عليها وهو يعلم قال اذا عرف عيوب نفسه فعرفها فلم وهو لا ينزع عنها ، كان مصرًا علي الذنوب وهو يعلم ، فمتى يكون مفتونًا تايبًا وهو يعلم ، قال حين عرف عيوب نفسه فعرفها فلم يرض بها ونازعته نفسه اليها فجاهدها فغلبها وغلبته كان كذلك وهو يعلم قلت فمتى يكون محسنًا وهو لا يعلم قال فانه اذا اشتد خوفه مما قدم من الاساءة ظن ان لا يقبل منه معها احسان وخاف على احسانه ان يكون اساءة فانه يكون حينئذ محسنًا تايبًا وهو لا يعلم لغلبة الخوف عليه قلت فمتى يكون تايبًا (6r) وهو يعلم ، قال فانه اذا كان لا يعرف عيوب نفسه فعرفها فانتقل عنها كان تايبًا وهو يعلم ، قلت فمتى يكون مستدرجًا وهو لا يعلم ، قال اذا عرف عيوب نفسه فعرفها ولم ينتقل عنها فزيد في بصيرته وفي الحجة الظاهرة واعجب بعلمه وقوي على عبادته فهو مستدرج وهو لا يعلم قلت فمتى يكون مستدرجًا وهو يعلم قال هذا محال لان المستدرج ما لم يتبين له ما هو فيه لا يعلم من اين استدرج ، فاذا عرف وعلم فقد اريد به خير لانه استبان عيبًا كان عنده حسنًا فلما عرف وعرف فراجع وخضع وتضرع فقبل واستنقذ من طريق الاستدراج وهو العابد المضيع الشكر. والاستدراج اسم لمعنيين فمعنى استدراج عقوبة يرجى منه الانابة واستدراج سخط لا انابة فيه ولا رجوع عنه واستدراج كل عبد على مقدار بغيته فمنهم من يستدرج في الدنو من الملك والحظوة عنده ، ومنهم التاجر يستدرج في التوسع في تجارته ، ومنهم العامة تستدرج في الاهل والولد والناشئة والتبع في الدنيا ويوطا عقبه ومنهم (7r) من يستدرج بعلمه اذا طالب ان يكرم عليه ويعظم ويسمع قوله وذلك حظه من علمه وفيه استدراجه ، والعابد يستدرج بالزيادة في بصيرته وجميع من ذكرنا من المستدرجين لا يخلون من العجب والريا كل مزين له ما هو فيه لا يرى الا انه مقبول منه احسانه وقد عمي عن فتنة الاستدراج ومنهم من ينبه فينتبه فيراجع الانابة ويتفرغ للاستكانة ومنهم من يهمل على ذلك الي حضور الاجل يقول الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم لا تمدن عينيك الي ما متعنا به ازواجًا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه فهذه فتنة الاستدراج وقال أيحسبون انما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات

... يشعر ... [illegible] ... محدودا وبنين مشهودا فهذه فتنة من الاستدراج ، والمستدرج مفتون لا يشعر بفتنته مُزيّن له ذلك ، مستحسنٌ ما فيه هو طالب للزيادة منه وهو لا يعلم فاحذروا فتنة الاستدراج اعاذنا الله واياكم منها فان للاستدراج عقوبة للمضيعين شُكر النعم .

وسألت متى (٧٢) يكون الرجل غير موقن وهو لا يعلم ، قال اذا كان فيه اعمال ظاهرها اعمال الموقنين وباطنها اعمال اهل الشك فهو يعمل في الظاهر باعمال الموقنين وباطنه مشتمل على تكذيب ظاهره وهو لا يعلم انه كذلك فهو حينئذ غير موقن ولا يشك انه موقن وذلك لان اعمال باطنه اولى من اعمال ظاهره ، ويحقق ذلك قول الحسن ان لك سريرةً وعلانيةً فسريرتك اولى بك من علانيتك ، وسالت متى يكون الرجل غير موقن وهو يعلم ، قال اذا عرف فنونَ اليقين واشكاله واعمال اهل الشك واشكاله فراى ان باطنه مشتمل على اعمال اهل الشك الزم نفسه انها غير موقنه ولم يلتفت الى ظاهر اعمالها ، يحقق ذلك قول الحسن لقد وارت الارض اقواما لو رايتموهم قالوا ما يُومن هاؤلاء بيوم الحساب . وسالت متى يأتيه اليقين وهو لا يعلم ، قال اذا عرف اضداد اليقين فتبرَّ منها وعرف باطن اعمال الموقنين فسكن اليها وهو متوحش من جميع اعماله لما دخله من رعب اعمال اهل التكذيب ، فهو مشغول بما قد راعه من (٤٨) اقامته على اعمال اضداد اليقين ولا يبعد هذا من ان يثبت فيه اليقين وهو لا يعلم . قلت فمتى يكون موقنا وهو يعلم ، قال اذا عرف باطن اعمال اضداد اليقين وظاهرها فجانبها سرًّا وجهرًا فبلغ معرفته كان مُوقنا وهو يعلم ، فاذا فتن او زل او حاد عن الطريق راجع من قريب فعاود طريق اليقين بالتوبة والندم قلت فما بال الموقنين يدينون قال لمعرفتهم الله تفضله عليهم واحسانه اليهم عند اساءتهم الى انفسهم ، فتجدد عندهم النعم وينتقلوا ويستقبلوا بالشكر فيرتقوا بذلك الى اعلى درجاتهم . واعلم ان للموقن علامةً واضحةً يعرفها وذلك ان الموقن تعظم عنده الذنوب والخطا والزلل وان كانت مغفورة له لغفلته عنها وهجوم ابليس عليه فيها وطمع النفس فيما هو اعظم منها ، واصغر ذنوب العبد عند الموقن كبيرة يظن ان الله عز وجل ماقت عليها وساخط عليه فيها وانه مسلوب بها ما انعم الله عليه من نعمه لعظم خطر صغير العهد عنده فاذا كان

العبد كذلك كان موقنا وهو يعلم . قلت فمتى يكون الرجل معجباً (٨ظ) وهو يعلم قال هذه مسالة تلحق بجميع المستدرجين مما وصفنا، فالملوك يعجبون بملكهم والتبع يعجبون بحظوتهم ودنوهم من ملكهم والتجار يعجبون بما بسط لهم من الدنيا والعامة يعجبون بما اوتوا من الاموال والاولاد والعلما يعجبون بما بسط لهم واعطوا من علمهم والقرا يعجبون بما نالوا من اسلبهم وسمتهم والعباد يعجبون بما قووا عليه من عبادتهم فليس من هذه الاصناف صنف الا ومنه العجب عند تضييع الشكر وليس منهم صنف الا والريا فيه ثابت وليس منهم صنف الا وهو يحب التعظيم والمحمده عند من هو دونه ويخرج ذلك كله من التحيّر فهذا فنونه فاذا ثبت التحير في القلب ثبتت فنونه جميعها فالتحير اصل يتفرع منه جماع الشر من الغضب والطمع والعجب وحب التعظيم والرياسة ومنه السفه والنزق والطيش والعجلة والحرص والشره والمكر والخديعة والجريرة والغش والخلابة والتكبر والكذب والغيبة والقسوة والغلظة والشح والجفاء وقلة الحياء مع جميع فنون الشر فاذا ثبت التواضع (٩و) في القلب ثبت معه جماع الخير من الرقة والرأفة والرحمة والاستكانة والقنوع والرضا والتوكل وحسن الظن وشدة الحياء وانفاء الطمع واحتمال النفس وسلامة الصدر وبذل المعروف والتشاغل بالنفس والمبادرة بالخير والانتقال عن الشر، كل امرى على قدر ما فيه من التركيب يكون فعله على قدر ذلك وجزاؤه على قدر ذلك وان كنت تسأل عن العجب الذي يلحق باصحاب الاعمال من العباد فسأخبرك بعظائم فتنتهم وبليتهم فتوقها واحذرها واستعن بالله تعالى فانه ليس شي اعجب الى عدو الله تعالى من فتنة العابد لان فتن اهل الدنيا مكشوفة بطلبهم الدنيا فالناس قد عرفوها منهم فمنهم من يحتملها وهو يعلم انه مفتون بها، فاما فتنة العابد فاعظمها فتنة واشدها صرعة لانه قد ترك عماوة الدنيا وجد في طلب الاخرة وكابد المفاوز والعقاب وجاهد نفسه على ترك الدنيا بمعرفة واقبل على طلب الاخرة ايثارا لها بالتصديق وحسن الاراده غير ان الله تعالى يمتحن هذا الخلق في كل احوالهم في تمسكهم بالدنيا وفي (٩ظ) تركهم لها وفي طلبهم الاخرة وجعل في كل نوع من ذلك مؤونة من الصبر ووعد ابليس وعداً فهو منجزه له الى يوم القيامة بان اسكنه وذريته صدور بني آدم يجرون منهم مجرى الدم فذلك المطيع والعاصي وانبيائه واوليائه

[illegible] ما من احسن الا [illegible] قول [illegible] عليه فسلم فليس لعابد في عبادته ان ينفي الشيطان عن قلبه وان يزعجه عن المسكن الذي مكن فيه غير انه اذا كان متيقظ القلب يئس فخاب فليس له سبيل الا مع الغفلة من العباد وطبع الخلق جميعاً على الغفلة والتيقظ وان العبد بمعونة لمكايدته فليس احد احوج الى صحة التركيب من هذا العبد الذي قصد قصد خلافه وقوي على ترك الاسباب التي يتصل بها ولد ادم من فنون الشهوات فحذف ذلك اجمع وخلفها خلفه ثم قرب من العقبة التي ان نجا منها وصل الى الجنة باذن الله فتجرد له ابليس وعلم انه لم (١٠٣) يبق له الا هذه الدرجة ان سلم منها نجا وعلم ايضا ان اهله فيها اضل خلقاً كثيراً فلا يسلم منه الا باذن الله ان شا الله ولا اعطيه او يستنقذه الله تعالى رحمته سعي للعبد ان يتيح له ويجتمع له قلبه وذهنه ويعدد عليه ما ياتي وما يكثر من عبادته ويتند معرفته بمكايدة عدوه حيله ويعيد نفسه من عملها لطلب الثواب ويلزمها ايضا لو انها تقطعت في عبادتها انها لم تبلغ درجة العفو العظيم بما جنت بنفسه من الاساءة ولو ان تلك العبادة والاحسان كانت لذنب واحد من جميع ذنوبه لاستاهل ذلك ولو انه يتعرض المعفو عنه بمثل جميع احسانه مثل لو يقطع عمر الدنيا عبادة فورد يوم القيامة الموقف وكان جميع عباده اهل ذلك الموقف في ميزانه ثم ذهب من ذلك ذنب من جميع ذنوبه وشفعوا فيه كان قد اعطى واعطو عظيما فالى الله نشكوا غفلتنا وقلة معرفتنا بما نحن اليه صايرون ولا قوة الا بالله فكيف يجمع اساءته وعظيم ذنوبه مع قلة ما يستقبل اختياراً لتوبة والمراجعة ثم يحمل نفسه ما استطاع فان عارض ابليس او رفعت نفسه راسها لتذكر احسانها (١٠٤) بما قد عرفه الله تعالى من قديم اسائها وحديث عيوبها فانقمعت وزجر عدوه عندما اراد من خديعته ليوقعه في العجب والباطل فلو كان عجب من حقيقة من احمال نفسه طاعة الله باطراح لها ومقت كان اولي الاشيآ به مع صدق النفس في الطاعة والرجوع الي الشكر فكيف به اذ عرض له بعجب باطل ليس فيه مونة ولا احتمال فالان حين اعرفك باطل ما قد عرضت به وازجرك بعون الله صاغراً أرددك على عقبيك ناكصاً محسوراً والزمها الذنب والريبه قديماً وحديثاً وارجع الى الذي

امكنني من اسرك وعرفني عداوتك وقواني على خلاف نفسي وعرفني عيوبها بالشكر له معترفًا له بالنعم مقرًا له بالتقصير مستجيرًا به راغبًا اليه في العصمة منك عايذًا من شرك وشر حزبك وخيلك ورجلك ومن شر اتباعك فاذا رقي العبد الى هذه الدرجة واعطى هذه المعرفة فلا تكون له همه ولا بغية ولا ماله ولا اراده الا النقلة عن ضيق الدنيا ونعيا مخافة ان تعارضه فتنة من فتنها تحول بينه وبين معرفته الى راحة الاخرة وروحها ليامن فيها من نزعات ابليس وخلاف (١١ب) نفسه. قال بعضهم اخاف ان يهجم علي ما يحول بيني وبين الاسلام وهو من الصفوة التي اختارها الله تعالى لصحبة نبيه في زمان لم تهج فيه الفتن ولم تختلف فيه القلوب خاف مع سابقته وجهاده مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يهجم عليه اقل مما انت فيه فيحول بينه وبين ما كان يعرف من حلاوة الاسلام فكيف بك بلا سابقة منها الا في الشر ولا حلاوة عرفتها قديمًا من الاسلام الا حلاوة المعاصي وانت نازل في دولة الفتنة وزمان الكبر تحب البقاء طمعًا في الزيادة فهذه خدعة من النفس بحبها البقاء التي يعظم لك الذنوب وتزيدك ثقلًا على ثقلك فهي تطمعك في البقاء للزيادة وهي تعدل منك النقص فيه ولم تنعم انت عليها حبًا للبقاء فخدعتك فيه وانت لا تعلم احوالك. واما ابليس فهو يخوفك مع تعجيلك حب الخروج من الدنيا ويطمعك في البقاء فتخويفه اياك دفع عن خير تناله بقلبك وطاعة تسترجعها الى قلبك من غير ان يمنعك ذلك من خير تدفعه او شر يدفع عنه الى بلوغ اجلك وليس حبك للموت بالذي ينقص من عمرك يومًا واحدًا ولا ساعة (١٢أ) والخدعة حتى تستوفي اقصى مدتك منها وتبلغ اقصى عمرك منها غير انه يخوفك شرًا او يخيرك فصدقته وطمعت وكانت عقوبة مثلك ان يحال بينك وبين ذلك الخير الذي به تجتلب فنون الخير فلم تناله ولم تصل اليه وانت تعرف ان ذلك كذلك لا يستطيع بلوغه حتى يتوب مما صدقته في كذبه ما خوفك من الشر الذي هو خير تهجم عليه ان احببت الموت الا ان تستدل به بعض الظن بالله تعالى ولو ورد عليك الموت الساعة رضيت وتنصرف عن طمعه اياك الزيادة في البقاء الا ان تحب مفارقته الساعة معرفة منك انه لا يسلم لك صحة نوع من الخير تطمع بان لا يعارضك فيه نفاد فهل سمعت او رايت بعدو يحب ان يلازم عدوه ويعجز

[illegible] في [illegible] وهو [illegible] يكره [illegible] مفارقته او هل [illegible]
او هل رأيت من يدعي انه محبوس يكره ان يراح ويفرج عنه من سجنه
لعمري انه من احب مفارقة صاحب يكره فراقه انه لنعم الصاحب وان دعواه
له عدو لباطل ولعمري انه احب مقام في سجن وهو يكره الخروج منه (12)
انه لفي غبطة وسرور وان دعواه انه في سجن لباطل ولكن العقول تتفاضل
وتتفاير والتقصير في شكر نعم العقول ظاهر، فاذا كان المطيع غير عالم بما يكره
من الطاعة في عبادته ولا عارف بمكايدة عدوه فيستصغر المخلوقين وتكون
نفسه عنده انه لا عدل لها في الانفس زكاة وطيباً ولعلها اخبث الانفس وانتن
رائحة واسقطها من عين باريها ، فكل ما سولت له نفسه من عمل فاحتملت
لصاحبها مع مساعدته اياها وشدة رضاه عنها مع نحول الجسم وطول السهر
والصبر على ظاهر العبادة ما فتن به التولي واستمالت به الموهين من العقلاء
والطالبين درج الطاعات، فامتد لها الذكر فامتدت فاحتجبت وتعظمت وتكبرت
فلم يوصل اليها الا في الحين ولم تبذل نفسها الا للخواص، فاذا وصلت الى هذه
المرتبة وخلية الدنيا بصنوف زهرتها لاهلها وطرقت عظيم العبادة استدراجاً وقد
استصغرت اعمال من كان قبلها من الصالحين ووقفت عليهم من جهة التقصير
وهي عند نفسها ازهد واقوى على ما هي فيه من كثير منهم ، فاتى منه
وهو لا يشعر وصرعه (12) عدوه من حيث لا يعلم فيا ويحها من نفس ما
اشأمها واعطبها لمن لا يعرفها انه يخيل الي انه لا يسلم منها من يعرفها
فكيف من لا يعرفها وصاحب هذه الصفة التي وصفنا انه اتى من قلة معرفته
بها فحاد عن طريق الشكر فليس العجب ممن لم يؤت معرفتها كيف يركب
ولكن العجب ممن لم يؤت معرفتها كيف يسلم .

باب الصمت ومخالفة الرويه وغير ذلك

[illegible] قال بعض الحكماء اني اعد كلامي فيما لا بد لي منه مصيبة واقعة
استعين بالله على السلامة منها واني لاعد صمتي عما لا يعنيني غنماً وحادث نعمة
اتمنى الشكر عليها اذ علمت ان من وراء كل كلمة رقيباً عتيداً فانزل
ما اضطررت اليه من القول مصيبة نازلة وان ما كففت من الكلام غنيمة

باردةً - واعلم انك في زمان غلبة الهوى فيه على الاحمر والاسود على الجاهل والعالم بامور الدنيا والاخرة فلتعرفن نفسك منك انك لا تثبت لها عملًا يساعديك علي احتمال المؤونة فيه الا وهواها فيه سابق واعرفها انها ما احتملت لك من علم بعمل في طاعة او بصيرة بعيوب عمل في طاعة ان ذلك احتمال (١٣ب) فساد ومهما تقدمت فيه من طريق هداها ان ذلك مردود عليها فاذا عرفت ذلك منك ييست من ان تُثبتَ لها خيرًا ومهما احتملته لك فالزمها اياه وسل الله العون عليها في اصلاح فساد اعمالها وليصح عندك انها لا تساعدك على طلب معرفة عيوبها الا وقد احتضنت من وراء ذلك داء هو اضر عليك من عيوب عملها فاذا عملت عملًا احتملتُ مؤونةً فارجع الى الله تعالى بالشكر لتسخيرها لاحتمال ما كنت تستثقل منها واستغفر الله لها من سقم نيّتها في ذلك العمل وان ظهر لك منها بكاء من خوف تدّعيه فأتبع بكأها بكاء بمعرفةٍ منك بقلة صدقها في بُكآيها فان ظهر تلك منها حزن عند ذكر الاخرة فاتبع حزنها حزنا معرفةً منك بعظيم كذبها في حزنها وليكن ذلك بكا توجع القلب لعظيم مُصيبتك في كذبها مُصيبةً نازلةً بك في احوالها فانك عَسَيْت ان صح لك من عملك شي او قُبل منك شي ان يقبل منك استغفارك لها من سقم نيتها في عملها وبكاء معرفتك بعلة صدقها في بكايها وحزن معرفتك بعظيم كذبها في حزنها فاعلم اني انا طمعت لك في قبول (١٤أ) ذلك لانك عرفت الحق علي نفسك لله تعالي فاقررت له على نفسك بالحق فكان لك في الحق حظ ونصيب وقد قيل العظيم يوميذ من عرف الحق في ذلك الزمان فاقر به، وقيل عارف الحق كقايله وقد يأتي على الناس زمان المقر فيهم يوميذ بالحق ناج، وانك لما تبيّنت اعمالها وبُكايها وحزنها ومعرفتها في مواطن الصبر على ما تصبر عليه الوالدان يظل ذلك كله فيعودُ جهلًا وعامت الذي ظهر منها من تحمّلها وبكآيها وحزنها كان منها علي غير اصل من الصدق اذ كانت اللحظة والكلمة والشي اليسير يهدر ما اظهرت وتلحقه فشكرت الله على معرفتك بالحق واقرارك به على نفسك لله وسالته العون عليها وعلي عدوك لحسن مؤازرته اياك فانه شاكر، وهب الك المعرفة ثم قبل منك اقرارك بما عرفك من الحق شكرا يثيبك عليه في العاجل نورًا لحكمه في قلبك وجزيل الثواب في الأُخرى انه شكور

حليم، وبالحري ايضاً ان ينفي عن قلبك العجب بثبات خوف البلوي في نعمك كما ابتلي صاحب العمامة وكما ابتلي صديق بني اسرائيل والذي قال لا (١٤٢) يغفر الله لك وهو ايضاً من طريق الاستدراج فيما اظن لاهل الدين ولعله يبتلي بالهوان فتجد ذلك في نفسك وتري انه صنع بك ما لم تكن اهله ولعلك تبلي الاخبار بالكرامة من الناس فقبله قلبك وتري في نفسك انه صنع بك ما كنت لذلك اهلاً ولان تكون نفسك عندك بانها في مثل حالها العذاب اولي بها. ثم يقول وان شا غفر لي فانه واسع المغفرة اولي بها. ثم يقول وان ساعدتني بعض ذنوبي فنسأل الله انما وهو ولانا ان يهدينا واياكم بالمعرفة الي معرفتهما والعزم على خلافها والعصمة من عدوها والتوبة من ذنوبها وان يدخلنا واياكم في سعة عفوه وطاعته ولا يكلنا واياكم اليها ولا الي احد سواه وان يستنقذنا واياكم من عاجل فتن الدنيا والاجل جميع اهوال الاخرة حتى يوصلنا واياكم بمنه وفضله الى رحمته انه فعال لما يريد وهو القريب المجيب .

باب علامة المرائي

قلت فمتى يكون مرائياً وهو لا يعلم؟ قال ان العبد لم يزل منذ هو ناشئ الي ان بلغ اشده طالباً للدنيا والاثرة لها في اعمال (١٤٣) الريا المحض ملوكها وسوقها عقلاوها وجهالها يتعاملون بالريا لا يمتنعون من ذلك . الملوك تعامل الملوك بالريا وتظهر بعضهم لبعض الاجلال وهو في الباطن يعمل على ان يجمع ملكه الي ملك نفسه والاتباع يظهر بعضهم للملوك الخضوع والاستكانة ويود السايس منهم انه يقدر على ان يصير هو الملك والملك هو السايس وكذلك العامة وكذلك التجار على هذا المعنى فكذلك الصناع فجميع اعمال طالبي الدنيا لا تتم الا بالريا فاذا ارعوي احدهم والريا فيه طباع فياتي يطلب الذين بتلك الطباع فاذا ارتفع الي العبادة وتعبد وذلك طباع فيه لا نعرفه من نفسه لغلبته عليه ومنشاه وفيه ويعرفه من نور الله الحكمة في قلوبهم فهم يرون فعله فعل اهل الريا فمنهم من يمسك على معرفته بصاحبه وانه لو ابدي له عيوبه نفر منها وذب عن نفسه او ابطل ما ينسبه اليه فصار عدوا مشاحناً. وقال يحسدني على ما اتاني الله من فضله من القوة على ديني او متنزل متعسف مبتدع يطعن على

من الخير مما ... العلم ... [illegible]
زمان غلبة الهوي واعجاب كل ذي رأي برايه اعتزل نفسه ونفر ...
بالمخالطة والصحبة وعرف ان في زمان المعروف فية منكر والشر فيه قد ...
بالخير فزاول نفسه ليقبضها فنكلت وانكرت وابت الا لزوم طباعها السكاني
ففكر الاديب وقال واعجباه ممن لا تجيبه نفسه الي الاستقامة بما قد عرفت
يريد ان يحمل سواه على ما قد جهلت فوضح له الامر وقصد قصد نفسه ايسا
من قبول احد منه بعد رد نفسه عليه مع المعرفة بالحق الذي لا ينكره والعلم
الذي لا يدفعه وعجز العامل عن مجاهدتها وردها عن طباعها الا مكرهة
مغلوبة فشغل بنفسه عمن سواه الا طالبا ملحا او مجاملا مريدا وليس كل
العباد اوتوا معرفة عيوب النفس لانه امر خاطر فمن تنبه لذلك فقد نبه لعظيم
من غير ان يعرف عيوب نفسه فكيف به لو عرف منها شيئا ثم وهب له بعده
معرفة سروره بالمعرفة ثم وهب له من بعد سروره بالمعرفة حب حلاوة المعرفة ثم
وهب له (15٢) من بعد حب وجود المعرفة العمل بما جاءت به المعرفة من اصلاح
عيوب النفس ما كان النفس يحسب به على العبد حسنات فلما خلا عن قلب
العبد رآها سيات فداب في اصلاحها فاضطربت عليه عندما كشف الله للعبد
عن غطا عيوبها واخذاد زينتها فان اتى هذا العبد من طريق يتفقد به من الزيادة
في الاعمال فانما يرق من استحقاره عظيما فيعمل على الشك في فضيلة ما اوتي
فيقته حينئذ على قدر يقينه بالاخره وفضيلتها فيقدر ضعف يقينه وتردده في ثقته
بالاخره كذلك يكون تردده في هذا الان هذا فضيلة من فضايل الاخرة اوتيها
فان كان ثابت اليقين بالاخره كان ثابت اليقين بما اوتي من اسبابها فليمتحن
العاقل ان وجد عاقلا بيقينه هذا فان كان مستثبته اليقين بما اوتيت من نعم
الله تعالي محققة لا يلها عن ذلك مثل اهل الدنيا جميعا عما امتن به عليها وجعل لها
اهلا وان شك الخلايق فيها فليعلم ان اثبات اليقين فيها على قدر ذلك وان
تردد مع المترددين ومال مع المايلين (16٢) عنها كان يقينه بالاخرة على قدر ذلك
فاذا اقبلت النعمة من الله علي عبده بمعرفته عيوب نفسه فاول ما يبداء به الانتقال
عن طباعه الريا ويعلم ان طباعه التي لم تزل فيه وعليها نشا طباع غريزية وجبلة
وجد في الانتقال عنه ولا يكون له همه غير تصلة نفسه لانها مطبوعة على

إلكذب والكذب والصدق لا يتقارنا ولا يسكنان في وعاء واحد الا ان يغلب احدهما علي الاخره فينفي ضده فاذا عرف العبد ريب النفس فعرفها وكان طالباً للصدق فاولي الاشياء به ان ينفي فنون الكذب عن قلبه بالجد والحرص وهو الشكر من العبد لحق هذه النعمة فاذا قصد قصدها بالبغضة لها نفرت عنه دواعي الكذب وفنونه واذا كان الذي ذلك من العبد لها وجنتها علي قلبه فلما اظهر ~~البغضة والاستثقال نفرت~~ عنه غير بعيدة منه لطول صحبتها ونشبت النفس بها لقربها من طباعها وشهوتها والعبد حريص علي التقى والنفس حريصة على الاستقا طامعة في هلاك صاحبها من طول علاجه ليقيها من ارتجاع النفس (16٢) اياها فلما تيقن الصدق من العبد والجد في انفا الكذب وفنونه فشوقت للعبد حلاوة قبوله فازداد العبد الي الصدق شوقاً وازداد الى الكذب مقتاً . واذا كان نفاد الصدق وفنونه من قلب العبد لغلبة الكذب وفنونه عليه فيتبين العبد بتشوق الصدق اليه ، ولما ثبت فيه ومنه اعمال الكذب فلم يفارقها بعد وازداد حرصاً الي حرصه طمعاً في اقامة الصدق فيه وانتفاء الكذب عنه فالريا من اعمال الكذب والعجب من اعمال الكذب وحب الرياسة والمحمدة والتعظيم والتجبر من اعمال الكذب فمن دأبَ في نفي الكذب برى من الريا ومن العُجب ومن جميع دواعي الحسد والشر واذا خلا من ذلك ثبت فيه الصدق بفنونه فان احببت ان تجعل الصدق في هذا الموضع هو اليقين بالاخرة وتصديقك بجميع ما فيها وصدقك في جميع اعمالها فعلت ويصير الكذب الشك والتكذيب بالاخرة فتكون جميع اعمالك الظاهرة مثل دعواك الظاهرة فتكون اعمالا كاذبة وجميع تفسير ما ورد بتفسيره واجل في هذا الباب من طريق الصدق والكذب فان عرفت هذا الباب عرفت جميع الرتب وان (17٢) قويت علي العمل به قويت على دفع جميع ما يقال من اعمال الكذب والمعونة من الله تعالي والعبد محمود على نعمة الاحسان والمعونة عليها من الله ومذموم علي الاساة ، والعاصم منها الله فالله مشكور علي جميع احوال بني ادم لانه ان احسن منهم محسن فنعمة الاحسان واقعة عليه ملتمسة منه الشكر وان امتنع عن الاساة فنعمة العصمة واقعة عليه ملتمسة منه الشكر وان تمادي في الاساة فنعمة التوبة واقعة عليه اذ كانت له مبسوطة غير ماخوذ عند اساءته فتطوع زايده والتوبة ملتمسة منه الشكر وهي اعظمها نعمة . قلت فمن

[illegible] له يزيد [illegible] في علمه ازداد به وجلاً [illegible] قوة [illegible]
[illegible] وجد فسمي [illegible] به وجه [illegible] القلب [illegible]
علمت انك قد علمت . قلت فمتى يعلم انه لا يعلم قال [illegible] كثر نفاقه [illegible]
كلامه في فنون من العلم وانتشرت كتبه وازداد قلبه على ذلك غلظاً وقسوة
حتى يعرفها هو من نفسه فقد علم انه لا يعلم وان كثر ذلك منه . قلت فمتى
ينتفع بعلمه قال اذا كان (١٧) مُطيعاً لعلمه متبعاً دلالته ؟ قلت فمتى ينفعه علمه
قال غداً اذا كان على ما وصفنا ورجح به ميزانه انتفع بعلمه قلت وهل ينتفع
بالعلم سواه قال اذا كان هو عاملا يعلم نفسه وعلّم سواه نفعه تعليم غيره .
قلت فمتى ينفع غيره علمه قال اذا كان هو عاملا فافاد علمه سواه فعمل به فحينئذ
ينفعه عمل غيره . قلت فمتى يضر غيره علمه قال اذا ضيع هو شكر الله في علمه فعمل
بخلاف علمه فتأسوا به في عمله وخالفوا ما استفادوا منه فكما ضيّع العالم علمه ضر
غيره علمه . قلت فمتى يضره علم غيره قال اذا كان هذا المستفيد ممن يُضيع العمل
بعلمه فتاسى به غيره كان قد ضره علم غيره . قلت وكيف يضره علم غيره
والعلم نافع لكل من استفاده قال الا تعلم انك تأسيت بعلمه من اجل مـا
ظهر لك من علمه ولو كان جاهلا ما تأسيت بعلمه الا ترى انه ضرك علمه . فان
قال فهل ينتفع بالمعرفة اذا كان مقصرا في العمل قال فسالتك بجوابات قال لان
التقصير في العمل والمضيع للعمل لا يعني انه لم يبلغ الشك على قدر النعمة وهو
يعمل بالدلالة غير ان عمله قليل (١٨) والتضييع للعمل ما كان منه من عمل وان
كثر فهو ضايع لانه خلاف دلالة النعمة فذلك وان كثرت من صاحبه الاعمال
فهي خفيفة الوزن لا وزن لها غير ان المعرفة نعمة اقبلت لاجتلاب الخير الى من
اقبلت اليه مع قيام من اقبلت اليه بالشكر اذا تادى في الشر مع تضييع من
اقبلت اليه بالشكر ؟ فليس احد قوي الا من طريق الشكر ولا ضعيف الا من
تضييعه لان النعم سابقة من الله تعالى الى خلقه لان الله عز ذكره اوجب على
نفسه لخلقه جميعاً الابتداء بالنعمة وهو اولى بالاحسان الى بريته وفرض عليها
الشكر فرضاً ثم اوجب لهم عليه الزيادة منه امتناناً واوجب العقوبة على مَن ضيع
منهم شكره امتحانا فصفح عمن شا وعاقب من شا .

(يتبع)